فضائل قيام الليل

ومعه نماذج

من حرص السلف عليه وشيء من أحكامه

الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ

كتبه: أبو أنور رائد بن مطهر الصديق.
القائم على الدعوة والتعليم بمسجد بلال بن رباح
-مأرب- وادي عبيدة- الساقط- آل عجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الإله المعبود، الذي ذل لعظمته الوجود وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك الولي المحمود.

وأشهد أن محمد عبده ورسوله شفيع الناس في اليوم المشهود، خير من قام لله بدينه وخير الرُّكَّع السجود، صلىٰ الله عليه، وعلىٰ آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فهذه عبارة عن خطبة جمعة ألقيتها في مسجد دار التوحيد -حرسه الله- في (اليوم السابع من شهر الله المحرم، للعام الرابع والأربعين وأربعمائة وألف للهجرة النبوية) علىٰ صاحبها أفضل الصَّلاة أتم التسليم، ثم طلب مني بعض الإخوة نشرها فأجبته إلىٰ ذلك واستنعت بالله.

وكان عملي فيها أن زدت ما يسره الله من الفوائد والشوارد وأضفت فصلًا: نماذج من حرص السلف علىٰ قيام الليل، وهكذا فصلًا في شيءٍ من أحكامه، واللهَ أسألُ أن ينفع به كاتبه وقارئه في الدارين إنه جوادٌ كريم.

وكتبه:

أبو أنور رائد بن مطهر بن شرف الصديق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ لِلَّه، نَحْمدُهُ ونَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ ب بالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا مَنْ يَهْدِهِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢]،﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١]. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾. [الأحزاب٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ وَخَيْرَ الْهُدَىٰ هُدَىٰ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ- وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ.

إن من المعلوم بالضرورة لدى المسلمين: أن الصلاة عماد الدين، وأول صفة من صفات المؤمنين، بعد توحيد رب العالمين، وأنها آخر شيء يفقد من دين المسلمين، وأنه لا يتلاعب بها إلا مَهين، جُرمه أعظم جُرم بإجماع المسلمين، فجرمه أعظم من قتل النفس، وشرب الخمر، وأعظم من جرم أهل الزنا والسارقين. وهو متوعد بالنار في كتاب الله المبين، قال عزَّ مِن قائل وهو أصدق القائلين: ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ [المدثر:٣٩-٤٣].

والصلاة خير الأعمال بعد التوحيد:

فقد روىٰ الإمام أحمد برقم (٢٢٤٣٦): عَنْ ثَوْبَانَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمْ الصَّلَاةُ وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ».

وَخَيرُهَا الصلوات المفروضة؛ لقول الله عَزَّوَجَلَّ كما في الحديث القدسي: «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ»(١).

وهي أول عمل يحاسب عليه العبد يوم القيامة:

فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، -وفي لفظ: (صلح له سائر عمله)-، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، -وفي لفظ: (فسد سائر عمله)-، فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ، قَالَ الرَّبُّ عَزَّوَجَلَّ: انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ»(٢).

فإذا عرفنا هذا وجب علينا أن نحافظ علىٰ هذه الصلوات كما أراد الله، وأن نحافظ علىٰ الصلوات المكملة لها، ألا وإن أفضل صلاة مكملة للفرائض ألا لهي قيام الليل، وما أدراك ما قيام الليل!!.

---

(١) رواه البخاري برقم(٦٥٠٢) عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-.

(٢) رواه الترمذي (١/ ٢٥٧) والطبراني في الأوسط في " الأوسط " (١٣ / ٢ من زوائده) وغيرهم وهو صحيح لغيره وانظر السلسلة الصحيحة رقم (١٣٥٨).

فقد روى الإمام مسلم برقم (٢٨١٢): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضيَ الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- «أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ».

وقيام الليل عبادة عظيمة؛ ولهذا من أراد الله شرفه ورفعته في الدنيا والآخرة هيَّأ ويسَّر له هذه العبادة العظيمة:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩].

وأخرج الطبراني في "الأوسط" والحاكم، والطيالسي، وأبو نعيم وغيرهم: عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ عَنِ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «أتاني جِبْرِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحْبِبْ مَنْ أَحْبَبْتَ فَإِنَّكَ مَفَارِقُهُ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ، وَاعْلَمْ أن شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُه باللَّيْلِ، وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ»[(١)].

قيام الليل وضيفةُ خيارِ خلق الله من سالف الأزمان:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [الفرقان:٦٣-٦٤].

(١) [وهو في السلسلة الصحيحة برقم(٨٣١)]..

وقد امتدح الله الصالحين من أهل الكتاب بعد أن ذمَّ الفاسقين منهم[١]، ومما امتدحهم به أنهم يحافظون علىٰ قيام الليل، فقال تعالىٰ: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران:١١٣].

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ: عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَهُوَ قُرْبَةٌ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ، وَمُكَفِّرٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَنْهَاةٌ عَنِ الْإِثْمِ»[٢].

قيام الليل عبادة عظيمة ولهذا فقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم بالرحمة لمن أعان غيره على هذه العبادة ولو أكرهه عليها إكراهًا:

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى، وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فَإِنْ أَبَتْ، نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ، رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ، وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا، فَإِنْ أَبَى، نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ»[٣].

---

(١) ذمهم بقوله تعالىٰ: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران:١١٢].

(٢) [أخرجه الحاكم برقم (١١٥٧)وحسنه الألباني في الإرواء برقم(٤٥٢)].

(٣) [رواه أبو داود برقم (١٣٠٨) وإسناده صحيح، وهو في الصحيح المسند لعلامة اليمن الوادعي-رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ-].

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم القدوة الحسنة في ذلك:

ففي صحيح مسلم: عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- يُصَلِّي صَلاَتَهُ مِنَ اللَّيْلِ كُلَّهَا وَأَنَا مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يُوتِرَ أَيْقَظَنِي فَأَوْتَرْتُ.

وفي الصحيحين واللفظ لمسلم: عَنْ عَائِشَةَ - رضىٰ الله عنها - قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ أَحْيَا اللَّيْلَ وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ وَجَدَّ وَشَدَّ الْمِئْزَرَ.

كل ذلك تطبيقًا لأمر الله له بذلك: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه:١٣٢]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ مادحًا لنبيه إسماعيل عليه السلام: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا * وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٤-٥٥].

قيام الليل من أعظم الأسباب للنجاة من الفتن:

فَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ اسْتَيْقَظَ لَيْلَةً، فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الفِتْنَةِ، مَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الخَزَائِنِ، مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الحُجُرَاتِ؟ يَا رُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الآخِرَةِ»[(١)].

(١) [رواه البخاري برقم(١١٢٦)]

عباد الله قيام الليل يبدأ من بعد صلاة العشاء وينتهي بطلوع الفجر الصادق:

فعَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قَالَتْ: "مِنْ كُلِّ اللَّيْلِ قَدْ أَوْتَرَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- فَانْتَهَىٰ وِتْرُهُ إِلَىٰ السَّحَرِ"[١].

والصلاة في آخره أفضل من الصلاة في أوله:

فَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «مَنْ خَافَ أَنْ لاَ يَقُومَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَلْيُوتِرْ أَوَّلَهُ وَمَنْ طَمِعَ أَنْ يَقُومَ آخِرَهُ فَلْيُوتِرْ آخِرَ اللَّيْلِ فَإِنَّ صَلاَةَ آخِرِ اللَّيْلِ مَشْهُودَةٌ وَذَلِكَ أَفْضَلُ».

وَقَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ مَحْضُورَةٌ[٢].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ فَيَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»[٣].

أيها الإخوة وقفة تأمل مع فقرات هذا الحديث.

ما أعظمها من لحظات عند أن يقول الرب تبارك وتعالىٰ في تلك الساعة: «مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ» وأنت أحد الداعين.

---

(١) [رواه مسلم برقم (١٧٧٠)]

(٢) [رواه مسلم برقم(١٨٠٢)]

(٣) [متفق عليه رواه مسلم برقم (١٨٠٨)، والبخاري برقم (١٨٠٨)]

ما أعظمها من لحظات عند أن يقول الرب تبارك وتعالىٰ في تلك الساعة: «مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ» وأنت أحد السائلين.

ما أعظمها من لحظات عند أن يقول الرب تبارك وتعالىٰ في تلك الساعة: «مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ» وأنت أحد المستغفرين.

قيام الليل سبب عظيم للنجاة من النار:

قال تعالىٰ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [الزمر:٩]. هذه الآية ذُكرتْ بعد أن ذم الله الكافر المشرك بالله الممتع في هذه الحياة، والنار في الآخرة مأواه بقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ للهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الزمر:٨]، قال بعدها: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ أي: أهذا الكافر خير أم من هو عابد لربه طائع له يقضي ساعات الليل في القيام والسجود لله ثم بين مراده فقال: ﴿يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ أي: يخاف عذاب الآخرة ويطمع في رحمة ربه، ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ أي: هل يستوي الذي يعرف ربه ودينه الحق والذي لا يعلم شيئًا من ذلك، ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ أي: إنما يعرف الفرق بين هذين الفريقين اصحاب العقول السليمة

تأمل معي كيف ختم الله هذه الآية بقوله: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾، فكلما ازداد الإنسان علمًا ومعرفةً بالله ازداد خوفه مما عند الله ورجاؤه ما عنده، فيدعوه ذلك لهذه العبادة العظيمة.

تأمل إلىٰ حال أعرف الناس بالله خير خلق الله وأتقاهم له نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ:

فَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ- ذَاتَ لَيْلَةٍ فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ فَقُلْتُ يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ. ثُمَّ مَضَىٰ فَقُلْتُ يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ فَمَضَىٰ فَقُلْتُ يَرْكَعُ بِهَا. ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ ثُمَّ رَكَعَ فَجَعَلَ يَقُولُ «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ». فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ ثُمَّ قَالَ: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ»، ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ ثُمَّ سَجَدَ فَقَالَ «سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى». فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ[1].

وقفة يسيرة مع هذا الحديث:

احسُبْ معي أخي الكريم كم استغرقَتْ هذه الركعة من الساعات؟!.

ففي القيام قرأ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ثلاث سور: (**البقرة، وآل عمران، والنساء**)، وهذه السُّور خمسة أجزاء وربع، والجزء يستغرق نصف ساعة- تقريبًا-؛ لأنه كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ "يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا" أي: متمهلًا بتؤدة، ويؤيد هذا قول حذيفة بعدها: "إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ وَإِذَا

---

(١) [رواه مسلم برقم (١٨٥٠)]

مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ"، فيكون قيامه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في هذه الركعة "ساعتان ونصف تقريبًا"، تأمل معي في هذا القيام الطويل!.

لا تقف هنا، تأمل ماذا قال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعدها: "ثُمَّ رَكَعَ فَجَعَلَ يَقُولُ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ». فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ". معناه: أن ركوع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان ساعتان تقريبًا!.

لا تقف هنا، تأمل ماذا قال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعدها: "ثُمَّ قَالَ «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ»، ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ"، معناه: أن قيام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بعد الركوع كان ساعة ونصف تقريبًا!.

لا تقف هنا، تأمل ماذا قال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعدها: "ثُمَّ سَجَدَ فَقَالَ «سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى». فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ". معناه: أن سجود النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان ساعة ونصف تقريبًا!، والجلوس بين السجدتين ساعة تقريبًا!، والسجدة الثانية ساعة ونصف تقريبًا!.

إذن كم استغرقت هذه الركعة من الساعات؟

الجواب: استغرقت هذه الركعة عشر ساعات تقريبًا فسبحان الله!، أين نحن من هذا التعبد العظيم؟!.

حديث آخر في صفة صلاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لربه في الليل؛ كي نعرف أين نحن من عبادته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ!:

فَعَنْ عَطَاءٍ، قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ، عَلَى عَائِشَةَ فَقَالَتْ لِعُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ: قَدْ آنَ لَكَ أَنْ تَزُورَنَا، فقَالَ: أَقُولُ يَا أُمَّهْ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ: زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ

حُبًّا، قَالَ: فَقَالَتْ: دَعُونَا مِنْ رَطَانَتِكُمْ هَذِهِ، قَالَ ابْنُ عُمَيْرٍ: أَخْبِرِينَا بِأَعْجَبِ شَيْءٍ رَأَيْتِهِ مِنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَسَكَتَتْ [١] ثُمَّ قَالَتْ: لَمَّا كَانَ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي، قَالَ: «يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي» قُلْتُ: وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّ قُرْبَكَ، وَأُحِبُّ مَا سَرَّكَ، قَالَتْ: فَقَامَ فَتَطَهَّرَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّىٰ بَلَّ حِجْرَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَىٰ فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّىٰ بَلَّ لِحْيَتَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَىٰ فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّىٰ بَلَّ الْأَرْضَ، فَجَاءَ بِلَالٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلَاةِ، فَلَمَّا رَآهُ يَبْكِي، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ؟، قَالَ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا، لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ، وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ...﴾» الْآيَةَ كُلَّهَا [آل عمران: ١٩٠] [٢] [٣].

---

(١) جاء في رواية "فبكت".

(٢) [رواه ابن حبان برقم (٦٢٠)، وغيره وهو حديث حسن وانظر الصحيحة رقم (٦٨)].

(٣) **قال الإمام الألباني** -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ- في السلسلة الصحيحة تحت هذا الحديث:

(...**لكن ليس فيه ما يدل علىٰ أنه** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ **قام الليل كله**، لأنه لم يقع فيه بيان: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ابتدأ القيام من بعد العشاء أو قريبًا من ذلك، بل إن قوله: "قام ليلة من الليالي فقال: ... "الظاهر أن معناه " قام من نومه ...." "أي: نام أوله ثم قام، فهو علىٰ هذا بمعنىٰ حديثها الآخر " كان ينام أول الليل، ويحيي آخره ..." .

أخرجه مسلم (٢/ ١٦٧):، وإذا تبين هذا فلا يصح حينئذ الاستدلال بالحديث علىٰ مشروعية إحياء الليل كله، كما فعل الشيخ عبد الحي اللكنوي في " إقامة الحجة علىٰ أن الإكثار من التعبد ليس بدعة "، قال (ص ١٣): فدل ذلك علىٰ أن نفي عائشة قيام الليل كله محمول علىٰ غالب أوقاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ " .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّىٰ تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ الله وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا»، فَلَمَّا كَثُرَ لَحْمُهُ[١] صَلَّىٰ جَالِسًا فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ قَامَ فَقَرَأَ ثُمَّ رَكَعَ"[٢].

وَعَنِ الْمُغِيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ إِنْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لَيَقُومُ لِيُصَلِّيَ حَتَّىٰ تَرِمُ قَدَمَاهُ أَوْ سَاقَاهُ فَيُقَالُ لَهُ فَيَقُولُ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»[٣].

أيها الإخوة! وقفة تأمل في قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا».

قلت: يشير بـ" نفي عائشة " إلىٰ حديثها الآخر: "و لم يقم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ليلة يتمها إلىٰ الصباح، و لم يقرأ القرآن في ليلة قط".

أخرجه مسلم (٢ / ١٦٩ – ١٧٠) و أبو داود (١٣٤٢) و اللفظ له.

قلت: فهذا نص في النفي المذكور لا يقبل التأويل، و حمله علىٰ غالب الأوقات إنما يستقيم لو كان حديث الباب صريح الدلالة علىٰ أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قام تلك الليلة بتمامها، أما وهو ليس كذلك كما بينا، فالحمل المذكور مردود، و يبقىٰ النفي المذكور سالما من التقييد . وبالتالي تبقىٰ دلالته علىٰ عدم مشروعية قيام الليل كله قائمة...).

(١) قال الحافظ بن حجر-رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ-: قَوْلُهُ (فَلَمَّا كَثُرَ لَحْمُهُ) أَنْكَرَهُ الدَّاوُدِيُّ وَقَالَ: الْمَحْفُوظُ (فَلَمَّا بَدَّنَ) أَيْ كَبُرَ فَكَأَنَّ الرَّاوِيَ تَأَوَّلَهُ عَلَىٰ كَثْرَةِ اللَّحْمِ انْتَهَىٰ وَتَعَقَّبَهُ أَيْضًا بن الْجَوْزِيِّ فَقَالَ لَمْ يَصِفْهُ أَحَدٌ بِالسِّمَنِ أَصْلًا. [فتح الباري لابن حجر (٨/ ٥٨٤-٥٨٥)]

(٢) [متفق عليه.[البخاري(٤٨٣٧)، مسلم(٢٨٢٠)].

(٣) [متفق عليه البخاري [(١١٣٠)، ومسلم (٢٨١٩)].

يشكر نعم الله عليه سواء ما كان من أمر الدين من مغفرة الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا * وَيَنْصُرَكَ اللهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح:١-٣].

أو ما كان من أمر الدنيا القليلة التي كان يربط علىٰ بطنه الحجر من الجوع[(١)].

فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ لِعُرْوَةَ: ابْنَ أُخْتِي «إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَىٰ الهِلاَلِ، ثُمَّ الهِلاَلِ، ثَلاَثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَتْ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ نَارٌ»، فَقُلْتُ يَا خَالَةُ: مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتْ: "الأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ وَالمَاءُ"[(٢)].

والذي كان يأتيه الضيف فَيرْسِلُ إِلَىٰ بَعْضِ نِسَائِهِ فَقَالَتْ: وَالَّذِيٰ بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلاَّ مَاءٌ. ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَىٰ أُخْرَىٰ فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّىٰ قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ: لاَ وَالَّذِيٰ بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلاَّ مَاءٌ. فَقَالَ «مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ الله»[(٣)].

ومع هذا كله يقول: «أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا».

ولو تأملنا في فقراء زماننا لوجدنا عندهم أنواع الأطعمة والأشربة والألبسه وبعضهم تسأله لماذا تترك الصلاة المفروضة؟ فيجيب بكل وقاحة حتىٰ يرزقني الله مثل ما رزق فلانًا أو فلان...؟!!

---

(١) رواه مسلم برقم(٤١٠١).

(٢) متفق عليه البخاري (٢٥٦٧)ومسلم ٢٨-(٢٩٧٢).

(٣) رواه مسلم(٥٤٨٠).

أين الشكر لله علىٰ نعمه؟! فما بالك بمن أنعم الله عليه بالثراء وأصناف الأموال وهو ساهٍ لاهٍ بل إذا سئل لماذا تترك الصلاة المفروضة فيجيب بكل برود إجابة المنافقين -وهو لا يشعر-: ﴿شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا﴾ [الفتح:١١].؟!

أين شكر النعم؟! أين نحن من قول رسولنا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا».

عبادَ الله ما شكر الله بمثل طاعته والبعد عن معصيته.

وهذا عبد الله بن عمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- يرىٰ في منامه رؤيا إليك نصها وتعبيرها لتعتبر.

فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَخَذَانِي فَذَهَبَا بِي إِلَىٰ النَّارِ فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ الْبِئْرِ، وَإِذَا لَهَا قَرْنَانِ كَقَرْنَيِ الْبِئْرِ، وَإِذَا فِيهَا نَاسٌ قَدْ عَرَفْتُهُمْ فَجَعَلْتُ أَقُولُ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ النَّارِ، أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ النَّارِ، أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ النَّارِ، - قَالَ - فَلَقِيَهُمَا مَلَكٌ فَقَالَ لِي: لَمْ تُرَعْ. فَقَصَصْتُهَا عَلَىٰ حَفْصَةَ فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ النَّبِي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ»، قَالَ سَالِمٌ: فَكَانَ عَبْدُ اللهِ بَعْدَ ذَلِكَ لاَ يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلاَّ قَلِيلًا[1].

---

(١) [متفق عليه. [رواه البخاري برقم (٣٧٣٨) ومسلم برقم (٦٥٢٥)].

وعَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ: «أَنَّهُ كَانَ يُحْيِي اللَّيْلَ صَلَاةً»، ثُمَّ يَقُولُ: «يَا نَافِعُ أَسْحَرْنَا؟» فَيَقُولُ: لَا، «فَيُعَاوِدُ الصَّلَاةَ»، ثُمَّ يَقُولُ: «يَا نَافِعُ أَسْحَرْنَا؟» فَأَقُولُ: نَعَمْ «فَيَقْعُدُ فَيَسْتَغْفِرُ وَيَدْعُو حَتَّىٰ يُصْبِحَ»[(١)].

قال العلامة القرطبي: لم يكن يقوم من الليل فحصل لعبد الله من ذلك تنبيه علىٰ أن قيام الليل مما يتقي به النار والدنو منها فلذلك لم يترك قيام الليل بعد ذلك. اهـ[(٢)]

وبالمقابل من ذلك من أراد الجنة والعلو في درجاتها إلى الفردوس الأعلى فعليه المحافظة على هذه العبادة العظيمة:

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات:١٥-١٨]، ومعنىٰ الآية علىٰ أحد تفسيري العلماء لها وهو اختيار إمام التفسير ابن جرير: أن (ما) مصدرية تقديره: كانوا قليلًا من الليل هجوعهم ونومهم، واختاره ابن جرير.

وقال الحسن البصري: ﴿كَانُواْ قَلِيلًا مِّن اللَّيلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾، كابدوا قيام الليل فلا ينامون من الليل إلا أقله، ونشطوا فمدوا إلىٰ السحر حتىٰ كان الاستغفار بسحر.

---

(١) [صفة الصفوة(١/ ٥٧٧)].

(٢) [من (فتح الباري لابن حجر)].

لفتة انتباه:

لو نظرنا في أهل زماننا لوجدنا أنهم: (**قليلًا من الليل ما يهجعون**) لكن مع القات والسمَرات، ومشاهدة الأفلام والمسلسلات، والنظر إلىٰ المحرمات؟! والنت وما ادراك ما النت؟! إنه قاتل الأوقات مفسد للبنين والبنات، والشباب والشابات، ومشاهدة المباريات، وما أدراك ما المباريات إنها ضياع للأوقات وتدمير للولاء والبراء بين أهل الإسلام وأهل الكفر فتراه يشجع لاعبًا نصرانيًا أو يهوديًا أو مجوسيًا أو بوذيًا وهو نجس من الأنجاس، فالمسلم رجله أطهر من وجه الكافر؛ لأن المسلم يغسل رجله أقل شيء في اليوم خمس مرات عند أن يصلي والكافر ما يغسل وجهه إلا مرة واحدة في الصباح.

ومع هذا السهر في المعاصي: بالأسحار هم نائمون؟! بل ولصلاة الفجر مضيعون؟! فإنا لله وإنا إليه راجعون؟!.

وقال الله تعالىٰ: ﴿**إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ * تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [السجدة:١٥-١٧].

ومعنىٰ: (**تتجافىٰ**): أي: ترتفع وتتباعد وتتنحىٰ للعبادة.

ومعنىٰ: (**المضاجع**): فرش النوم

والمعنىٰ: يرتفعون ويبتعدون عن فُرُش النوم من أجل التهجد لربهم في صلاة الليل، هكذا كان الصالحون رضوان الله عليهم:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم ❁ إن التشبه بالكرام فلاحُ

وَعَنْ سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ السَّاعِدِيَّ يَقُولُ: شَهِدْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- مَجْلِسًا وَصَفَ فِيهِ الْجَنَّةَ حَتَّى انْتَهَى ثُمَّ قَالَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- فِي آخِرِ حَدِيثِهِ: «فِيهَا مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»، ثُمَّ اقْتَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ. فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:١٥-١٧][(١)].

وَعَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَفْشَى السَّلَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ»[(٢)].

قال بعض السلف: طول التهجد مهور الحور العين في الجنة[(٣)].

وعن مضر القارئ، قال: كان رجل من العباد قلما ينام من الليل قال: فغلبته عينه ذات ليلة فنام عن جزئه، قال: فرأى فيما يرى النائم كأن جارية وقفت عليه كأن وجهها القمر المستم، قال: ومعها رق فيه كتاب فقالت: أتقرأ أيها الشيخ؟ قال: نعم، قالت فاقرأ لي هذا الكتاب، قال: فأخذته من يدها ففتحته فإذا فيه مكتوب:

أألهتك لذة نوم عن خير عيش ❁ مع الخيرات في غرف الجنان

تعيش مخلدًا لا موت فيها ❁ وتنعم في الخيام مع الحسان

---

(١) [رواه مسلم (٧٣١٣)].

(٢) [رواه ابن حبان برقم (٥٠٩) وإسناده حسن].

(٣) [الجامع المنتخب ٦٩)].

تـــيقظ مـــن منامـــك إن خيـــرًا ❁ مـــن النـــوم التهجـــد بـــالقُرَان

قال: فو الله ما ذكرتها قط إلا ذهب عني النوم.!! إسناده حسن[١].

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: ومما يجزىٰ به المتهجد بالليل: كثرة الأزواج من الحور

العين في الجنة؛ فإن المتهجد قد ترك لذة النوم بالليل، ولذة التمتع بأزواجه طلبًا لما عند الله عَزَّوَجَلَّ، فعوَّضه الله خيرًا مما تركه، وهو الحور العين في الجنة[٢].

فائدة مهمة: من أطال القيام خفف الله عليه الوقوف بين يديه يوم القيامة:

قالَ الأوْزاعيُ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: مَنْ أَطَال قِيَامَ اللَّيْلِ، هَوَّنَ اللهُ عَلَيْهِ وُقُوفَ يَوْمِ القِيَامَةِ[٣].

قال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: **قاعدة**: للعبد بين يدي الله موقفان: موقف بين يديه في الصلاة، وموقف بين يديه يوم لقائه. فمن قام بحق الموقف الأول هون الله عليه الموقف الآخر، ومن استهان بهذا الموقف ولم يوفه حقه شدد عليه ذلك الموقف، قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا * إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [الإنسان:٢٦-٢٧].[٤]

---

(١) [كتاب التهجد وقيام الليل لابن أبي الدنيا (١/ ٣١٧)].

(٢) [الجامع المنتخب(١/ ٦٩)كما في كتاب: حياة السلف بين القول والعمل].

(٣) [سير أعلام النبلاء(١٣/ ١٤٠)].

(٤) [الفوائد(١/ ٢٠٠)]

الفصل الثاني: آثار عن السلف تدل على همتهم العالية في أداء هذه العبادة العظيمة

(أ)- عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: أَنْكَحَنِي أَبِي امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ، فَكَانَ يَتَعَاهَدُ كَنَّتَهُ، فَيَسْأَلُهَا عَنْ بَعْلِهَا، فَتَقُولُ: نِعْمَ الرَّجُلُ مِنْ رَجُلٍ لَمْ يَطَأْ لَنَا فِرَاشًا، وَلَمْ يُفَتِّشْ لَنَا كَنَفًا مُنْذُ أَتَيْنَاهُ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ذَكَرَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «الْقَنِي بِهِ»، فَلَقِيتُهُ بَعْدُ، فَقَالَ: «كَيْفَ تَصُومُ؟» قَالَ: كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: «وَكَيْفَ تَخْتِمُ؟»، قَالَ: كُلَّ لَيْلَةٍ، قَالَ: «صُمْ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةً، وَاقْرَإِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ»، قَالَ: قُلْتُ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «صُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْجُمُعَةِ»، قُلْتُ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «أَفْطِرْ يَوْمَيْنِ وَصُمْ يَوْمًا» قَالَ: قُلْتُ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «صُمْ أَفْضَلَ الصَّوْمِ صَوْمَ دَاوُدَ صِيَامَ يَوْمٍ وَإِفْطَارَ يَوْمٍ، وَاقْرَأْ فِي كُلِّ سَبْعِ لَيَالٍ مَرَّةً»[(١)].

(ب)- **وعن أسلم**: أن عمر بن الخطاب كان يصلي من الليل ما شاء الله حتىٰ إذا كان آخر الليل أيقظ أهله فيقول: الصلاةَ الصلاةَ ويتلو هذه الآية: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه:١٣٢][(٢)].

(ت)- عَنْ أَبِي عُثْمَانَ (وهو النهدي)، قَالَ: «تَضَيَّفْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، سَبْعًا،

---

(١) [رواه البخاري برقم (٥٠٥٢)]

(٢) [موسوعة ابن ابي الدنيا(١/ ٣٣٢) كما في كتاب (حياة السلف بين القول والعمل)]

فَكَانَ هُوَ وَامْرَأَتُهُ وَخَادِمُهُ يَعْتَقِبُونَ اللَّيْلَ أَثْلاَثًا: يُصَلِّي هَذَا، ثُمَّ يُوقِظُ هَذَا»[١].

[معاني المفردات: (تضيفت): تركت عنده ضيفًا. (سبعًا) سبع ليال. (يعتقبون): يتناوبون في القيام].

(ث)- وَقَالَ مُجَاهِدٌ: كَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ(واسمه: عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) إِذَا قَامَ إِلَىٰ الصَّلاَةِ، كَأَنَّهُ عُوْدٌ، وَحَدَّثَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- كَانَ كَذَلِكَ. قَالَ ثَابِتٌ البُنَانِيُّ: كُنْتُ أَمُرُّ بِابْنِ الزُّبَيْرِ، وَهُوَ خَلْفَ المَقَامِ يُصَلِّي، كَأَنَّهُ خَشَبَةٌ مَنْصُوْبَةٌ لاَ تَتَحَرَّكُ[٢].

(ج)- قَالَ العَلاَءُ بنُ سَالِمٍ: كَانَ مَنْصُوْرٌ يُصَلِّي فِي سَطْحِه، فَلَمَّا مَاتَ، قَالَ غُلاَمٌ لأُمِّهِ: يَا أُمَّه! الجِذعُ الَّذِي فِي سَطحِ آلِ فُلاَنٍ، لَيْسَ أَرَاهُ!. قَالَتْ: يَا بُنَيَّ، لَيْسَ ذَاكَ بِجِذعٍ، ذَاكَ مَنْصُوْرٌ، وَقَدْ مَاتَ -رَحِمَهُ اللَّهُ-[٣].

(ح)- وعن امرأة مسروق قالت: كان -تعني مسروقًا- يصلي حتىٰ ترم قدماه فربما جلستُ خلفه أبكي مما أراه يصنع بنفسه". وإسناده حسن[٤].

(خ)- وعن معاذة العدوية قالت: كان صلة بن أشيم يقوم من الليل حتىٰ يفتر فما يجيء إلىٰ فراشه إلا حبوا"، وإسناده صحيح[٥].

---

(١) [رواه البخاري برقم (٥٤٤١)].

(٢) [سير أعلام النبلاء(٥/ ٣٦٢)].

(٣) [سير أعلام النبلاء(٥/ ٤٩٩)].

(٤) [كتاب التهجد وقيام الليل لابن أبي الدنيا(١/ ٢٨٥)].

(٥) [كتاب التهجد وقيام الليل لابن أبي الدنيا(١/ ٢٨٨)].

(د)- وَعَن ضَمْرَةَ بنَ رَبِيْعَةَ يَقُوْلُ: حَجَجْنَا مَعَ الأَوْزَاعِيِّ سَنَةَ خَمْسِيْنَ وَمائَةٍ، فَمَا رَأَيتُهُ مُضْطَجِعًا فِي المَحْمِلِ فِي لَيْلٍ وَلاَ نَهَارٍ قَطُّ، كَانَ يُصَلِّي، فَإِذَا غَلَبَهُ النَّوْمُ، اسْتَنَدَ إِلَىٰ القَتْبِ-[1].

(ذ)- **وعن الرَّبِيْعُ بنُ سُلَيْمَانَ، قَالَ**: كَانَ الشَّافِعِيُّ قَدْ جَزَّأَ اللَّيْلَ: فَثُلُثُهُ الأَوَّلُ يَكْتُبُ، وَالثَّانِي يُصَلِّي، وَالثَّالِثُ يَنَامُ. **قال الذهبي** -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: أَفْعَالُهُ الثَّلاَثَةُ عِبَادَةٌ بِالنِّيَّةِ[2].

(ر)- وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ: كَانَ أَبِي يَقْرَأُ كُلَّ يَوْمٍ سُبْعًا، وَكَانَ يَنَامُ نَومَةً خَفِيْفَةً بَعْدَ العِشَاءِ، ثُمَّ يَقومُ إِلَىٰ الصَّباحِ يُصَلِّي وَيَدعُو[3].

(ز)- **وَقَالَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مَهْدِيٍّ**: مَا عَاشَرْتُ فِي النَّاسِ رَجُلًا هُوَ أَرَقَّ مِنْ سُفْيَانَ، قَالَ: وَقَالَ ابْنُ مَهْدِيٍّ: وَكُنْتُ أُرَامِقُهُ اللَّيْلَةَ بَعْدَ اللَّيْلَةِ، فَمَا كَانَ يَنَامُ إِلَّا فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ ثُمَّ يَنْتَفِضُ فَزِعًا مَرْعُوبًا يُنَادِي: «**النَّارُ شَغَلَنِي ذِكْرُ النَّارِ عَنِ النَّوْمِ وَالشَّهَوَاتِ**» كَأَنَّهُ يُخَاطِبُ رَجُلًا فِي الْبَيْتِ، ثُمَّ يَدْعُو بِمَاءٍ إِلَىٰ جَانِبِهِ فَيَتَوَضَّأُ، ثُمَّ يَقُولُ عَلَىٰ إِثْرِ وَضُوئِهِ: «**اللهُمَّ إِنَّكَ عَالِمٌ بِحَاجَتِي، غَيْرُ مُعَلَّمٍ بِمَا أَطْلُبُ، وَمَا أَطْلُبُ إِلَّا فَكَاكَ رَقَبَتِي مِنَ النَّارِ، اللهُمَّ إِنَّ الْجَزَعَ قَدْ أَرَّقَنِي مِنَ الْخَوْفِ، فَلَمْ يُؤَمِّنِّي، وَكُلُّ هَذَا مِنْ نِعْمَتِكَ السَّابِغَةِ عَلَيَّ، وَكَذَلِكَ فَعَلْتَ بِأَوْلِيَائِكَ وَأَهْلِ طَاعَتِكَ، إِلَهِي قَدْ عَلِمْتُ أَنْ لَوْ كَانَ لِي عُذْرٌ فِي التَّخَلِّي مَا**

---

(١) [سير أعلام النبلاء(١٣/ ١٤٠)].

(٢) [سير أعلام النبلاء(١٩/ ٢٤)].

(٣) [سير أعلام النبلاء(٢١/ ٢٥٥)].

أَقَمْتُ مَعَ النَّاسِ طَرَفَةَ عَيْنٍ»، ثُمَّ يُقْبِلُ عَلَىٰ صَلَاتِهِ، وَكَانَ الْبُكَاءُ يَمْنَعُهُ مِنَ الْقِرَاءَةِ، حَتَّىٰ إِنِّي كُنْتُ لَا أَسْتَطِيعُ سَمَاعَ قِرَاءَتِهِ مِنْ كَثْرَةِ بُكَائِهِ، قَالَ ابْنُ مَهْدِيٍّ: وَمَا كُنْتُ أَقْدِرُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهِ اسْتِحْيَاءً وَهَيْبَةً مِنْهُ"[١].

(س)- **وعن أبي إسحاق السبيعي**-رَحِمَهُ ٱللَّهُ- **قال**: ذهبت الصحة مني، وضعفت، ودق عظمي، وإني اليوم أقوم في الصلاة فما أقرأ إلا البقرة، وآل عمران[٢].

(ش)- **وقال ثابت البناني**-رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تعالىٰ**-: كَابَدْتُ الصَّلاَةَ عِشْرِيْنَ سَنَةً، وَتَنَعَّمْتُ بِهَا عِشْرِيْنَ سَنَةً[٣].

(١) [حلية الأولياء، وطبقات الأصفياء(٧/ ٦٠)].

(٢) [موسوعة ابن أبي الدنيا(١/ ٢٦٦) كما في كتاب (حياة السلف بين القول والعمل)].

(٣) [سير أعلام النبلاء (٩/ ٢٥٨)].

الفصل الثالث: بعض الأحكام المتعلقة

❁ الأولى: (قضاء قيام الليل).

عَنْ عَائِشَةَ: "أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا فَاتَتْهُ الصَّلَاةُ مِنْ اللَّيْلِ مِنْ وَجَعٍ أَوْ غَيْرِهِ صَلَّى مِنْ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً". [رواه مسلم (٧٤٦)]

وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهْرِ كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنْ اللَّيْلِ»[(١)].

قال العلامة القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: (والحزب هنا الجزء من القرآن يصلي به. وهذه الفضيلة إنَّما تحصل لمن غلبه نوم، أو عذر منعه من القيام مع أن نيته القيام)[(٢)].

قال شيخنا أبو بكر الحمادي -حفظه الله تعالى-: وأمَّا الوتر فقد تنازع العلماء في قضائه.

ثم رجح القول بقضاء الوتر لما [رواه أبو داود (١٤٣٣)]: عن أبي سعيد- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «مَنْ نَامَ عَنْ وِتْرِهِ أَوْ نَسِيَهُ فَلْيُصَلِّهِ إِذَا ذَكَرَهُ». ثم قال: هذا حديث صحيح.

ورواه أحمد والترمذي وابن ماجه من وجه لا يثبت.

---

(١) [رواه مسلم (٧٤٧)].

(٢) [المفهم (٧ / ١٨)].

ثم قال: والذي يظهر لي في هذه المسألة أنَّ صلاة الليل تقضىٰ في الضحىٰ شفعًا كما كان يفعله النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، والحديث الوارد بقضاء الوتر محمول علىٰ قضائه شفعًا، والله أعلم .اهـ

قال الإمام ابن باز رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى: (ومن فاته الوتر شرع له أن يصلي عادته من النهار لكن يشفعها بركعة، فإذا كانت عادته ثلاثًا صلىٰ أربعًا، وإذا كانت عادته خمسًا صلىٰ ستًا)[(١)].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى: (يقضي الوتر إذا نام عنه في النهار لكن يكون شفعًا، فإذا كان من عادته أن يوتر بثلاث قضاه أربعًا، وإذا كان من عادته أن يوتر بواحدة قضاه ركعتين)[(٢)].

❁ الثانية: (يستحب لمن نعس في صلاته، أو استعجم عليه القرآن، أو الذكر بأن يرقد حتىٰ يذهب عنه ذلك؛ لأن لب الصلاة الخشوع فيها، والحضور مع الله عَزَّوَجَلَّ، وإنما يكون ذلك مع النشاط وصحة العقل وسلامته من الكسل):

فَعَنْ عَائِشَةَ-رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا-: أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ- قَالَ: «إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلاَةِ فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى

---

(١) [مجموع فتاوىٰ ابن باز (١١ / ٣٠٧)]

(٢) [مجموع فتاوىٰ ورسائل ابن عثيمين] (١٤ / ٦٥) أهـ من "التعليقات الحسان علىٰ قيام رمضان للإمام الألباني-رَحِمَهُٱللَّهُ تعال: "(صـ١٧٢-١٨٠)]

وَهُوَ نَاعِسٌ لَعَلَّهُ يَذْهَبُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسُبُّ نَفْسَهُ»[١].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ فَاسْتَعْجَمَ الْقُرْآنُ عَلَى لِسَانِهِ فَلَمْ يَدْرِ مَا يَقُولُ فَلْيَضْطَجِعْ»[٢].

هذا ما يسر الله جمعه وكتابته، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

٧/ محرم/ ١٤٤٤هـ

(١) [متفق عليه [رواه البخاري برقم (٢١٢)ومسلم برقم (١٨٧١)]

(٢) [رواه مسلم (١٨٧٢)]

المحتويات

المقدمة ١
والصلاة خير الأعمال بعد التوحيد: ٣
وهي أول عمل يحاسب عليه العبد يوم القيامة: ٣
وقيام الليل عبادة عظيمة؛ ولهذا من أراد الله شرفه ورفعته في الدنيا والآخرة هيَّأ ويسَّر له هذه العبادة العظيمة: ٤
قيام الليل وضيفةُ خيارِ خلق الله من سالف الأزمان: ٤
قيام الليل عبادة عظيمة ولهذا فقد دعا النبي صلىٰ الله عليه وسلم بالرحمة لمن أعان غيره علىٰ هذه العبادة ولو أكرهه عليها إكراهًا: ٥
وقد كان النبي صلىٰ الله عليه وسلم القدوة الحسنة في ذلك: ٦
قيام الليل من أعظم الأسباب للنجاة من الفتن: ٦
عباد الله قيام الليل يبدأ من بعد صلاة العشاء وينتهي بطلوع الفجر الصادق: ٧
والصلاة في آخره أفضل من الصلاة في أوله: ٧
قيام الليل سبب عظيم للنجاة من النار: ٨
وقفة يسيرة مع هذا الحديث: ٩

وبالمقابل من ذلك من أراد الجنة والعلو في درجاتها إلىٰ الفردوس الأعلىٰ فعليه المحافظة علىٰ هذه العبادة العظيمة:.....١٥

لفتة انتباه: ١٦

فائدة مهمة: من أطال القيام خفف الله عليه الوقوف بين يديه يوم القيامة:..... ١٨

الفصل الثاني: آثار عن السلف تدل علىٰ همتهم العالية في أداء هذه العبادة العظيمة ١٩

الفصل الثالث: بعض الأحكام المتعلقة..... ٢٣

المحتويات..... ٢٦